ذوات

مجلة تراثية فصلية محكمة

www.dorat-ghawas.com

المورد - العدد الثالث - المجلد الثالث

المحتوى

■ **الموردة**

* ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز طريقنا الخاص ... سر نصرنا ..... د . محمد البكاء ٣ ــ ٤

■ **بحوث ودراسات**

* « وليخسأ الخاسئون » (خسأ) ودلالتها في القرآن الكريم ..... د . محمد البكاء ٦ ــ ١٢
* اسم المفعول في تحقيقات اللغويين ..... أ . د . محمد ضاري حمادي ١٣ ــ ١٦
* مراعاة المخاطب في الاحكام النحوية في كتاب سيبويه ..... د . كريم حسين ناصح الخالدي ١٧ ــ ٣٠
* أصالة المؤسسات القضائية العربية الإسلامية ..... عطا سلمان جاسم ٣١ ــ ٤٦
* الجاحظ واسهاماته الثقافية في تعزيز وحدة الامة ..... د . هاشم يحيى الملاح ٤٧ ــ ٥٣
* العرب بين الجاهلية والاسلام المقتربات العقائدية ودوافع الشرك ..... د . خالد ناجي السامرائي ٥٤ ــ ٦٥
* الايقونة اللفظية في القصيدة السينيه المبحتري ..... طراد الكبيسي ٦٦ ــ ٦٩
* البريتوي الشاعر المتصوف ..... أ . د . رشيد عبد الرحمن العبيدي ٧٠ ــ ٧٦
* التراث مادة معاصرة في الشعر العربي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ..... حسن عبد الهادي الدجيلي ٧٧ ــ ٨٠
* ابراهيم الوائلي وجهوده الادبية واللغوية ..... نا هي ابراهيم العبيدي ٨١ ــ ٨٩

■ **نقد وتعقيب**

* مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء بين الاضطراب والمنطقية ..... أ . د . محمود عبد الله الجادر ٩٠ ــ ٩٥
* قراءة نقدية في معلقة لبيد بن ربيعة العامري ..... أ . م . د . نصيرة أحمد ٩٦ ــ ١٠١
* المستدرك على ديوان الاعمى التطيلي (ت ٥٢٥ هـ) ..... محمد عويد الساير ١٠٢ ــ ١٠٨

■ **فهارس**

* كشاف الاثر العلمي للحضارة العربية الاسلامية في اوربا حتى ١٩٨٠ م ..... صبيح صادق ١٠٩ ــ ١١٤

■ **الجديد في المكتبة**

* مصطفى جواد حياته ومنزلته العلمية ..... عرض وتلخيص انور عبد الحميد الناصري ١١٥ ــ ١١٨
* اخبار التراث العربي ..... حسن عربيي ١١٩ ــ ١٢٦
* مطبوعات وصلت الى المجلة ..... عرض . نجلة محمد ١٢٧ ــ ١٢٨

www.dorat-ghawas.com

مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء بين الاضطراب والمنطقية

د . محمود عبد الله الجادر
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

ثمة ثلاث طبقات من كتاب طبقات فحول الشعراء نهج فيها محققوها مهجا علمياً أولاها طبعة يوسف هل التي صدرت في مدينة لايدن سنة ١٩١٦ م والثانية طبعة محمود محمد شاكر التي صدرت في القاهرة سنة ١٩٥٢ م والثالثة هي الطبعة الثانية لمحمود محمد شاكر نفسه والتي صدرت في القاهرة ايضاً سنة ١٩٧٤ م .

وليس من شان هذا البحث مقابلة بعض هذه الطبعات على بعض ولكن من شانه ان ينتقي الطبعة الاكثر دقة والاقرب الى الاصل قدر الامكان .

والمطلع على مقدمة الطبعة الثانية للشيخ محمود محمد شاكر قادر على ان يحسم ه ا الامر بسهولة ويسر ، فقد كفانا الرجل امر المقابلة بين الطبعات في مقدمة طبعته الثانية اذ عقد بحثاً مستفيضاً تحت عنوان (باية طبعات كتاب الطبقات) قدم فيه الدليل تلو الدليل على فساد الاعتماد على طبعة يوسف هل فضلًا عن طبعته الاولى التي حققها هو حتى قال في بحثه ه ا « لا احل لاحد من اهل العلم ان يعتمد بعد اليوم على هذه الطبعة الاولى من طبقات فحول الشعراء مخافة ان يقع في زلل لا ارضاه له »[1] .

www.dorat-ghawas.com

وعلى الرغم مما هو ظاهر حتى في هذه الطبعة الاخيرة من نقص واضطراب حاول المحقق ان يسدد باستخ[illegible]قول من المصادر التي نقلت عن ابن سلام لا سيما كتاب الاغاني ومع ما في هذا المنهج من مآخذ قد تثار على العمل التحقيقي، فلا سبيل افضل - حتى الان - الا الاعتماد على هذه الطبعة التي هي اكمل ما تضمه المكتبة العربية من هذا الاثر النفيس.

والذي يعنينا في هذا البحث هو تامل مقدمة الكتاب وملاحظة تسلسل المادة العلمية المودعة فيها وعرض ما ورد فيها من اقوال ابن سلام على مادة الكتاب نفسه للخروج برأي في مدى اضطراب هذه المقدمة او منطقيتها، وما ستقرره الحقائق والاستنباط في هذا الاطار سيكون له شان في طبيعة تقويم هذه المقدمة التي طالما اعتمدها الباحثون للاستدلال على فكر ابن سلام النقدي فضلاً عن اعتمادها للاستدلال على مدلول عدد من المصطلحات النقدية الواردة فيها والاساس المنهجي للكتاب.

ولا ينبغي ان يزعم زاعم أنه قادر على أن يقول الكلمة الفصل في هذا الشان مهما بذل من جهد واستقصى الاستنباط فالثغرات كثيرة ومتوزعة على مادة المقدمة على أن ذلك لا يلغي طموح المحاولة التي هي نسخ الكشف العلمي. ومنطلقه الاول تقع مقدمة ابن سلام في ثمانية واربعين (٤٨) صفحة من صفحات الطبعة للشيخ محمود محمد شاكر التي ذكرنا أننا سنعتمدها في هذا البحث، وقد قسمها المحقق خمساً وخمسين فقرة بوسعنا ان نجمل مادتها ونوزعها على النحو الآتي:

الفقرة (١) اسناد رواية الكتاب وهي فقرة فيها سقط كثير.

الفقرة (٢) عرض مادة الكتاب ضمن مواد اخرى لعل ابن سلام عقد لها كتباً اخرى.

الفقرة (٣) اشارة الى وجود شعر موضوع.

الفقرات (٣ - ٦) حديث عن قيمة النقد في قبول الشعر او رفضه.

الفقرة (٧) اشارة الى قبول ابن اسحاق اشعاراً موضوعة لرجال ونساء لم يقولوا شعراً لعاد وثمود واحتجاج بآيات قرانية على ذهاب آثارهما.

الفقرات (٨ - ١٣) الاحتجاج على فساد ما رواه ابن اسحاق من شعر بحداثة اللغة العربية وآراء العلماء في حداثة زمن التكلم بعربية القرآن الكريم.

الفقرات (١٤ - ٣٠) حديث عن علماء العربية وطبقاتهم وبعض آرائهم واخبارهم.

الفقرة(٣١) حديث عن منهج الطبقات.

الفقرة (٣٢) قيمة الشعر عند العرب.

الفقرتان (٣٣ - ٣٤) قلة ما وصل من شعر العرب.

الفقرات (٣٥ - ٤٣) حديث عن اولية الشعر وذكر اوائل الشعراء ورواية ما ذكر لهم من شعر.

الفقرة (٤٤) اسناد اولية القصيدة الى مهلهل بن ربيعة.

الفقرة (٤٥) تحول الشعر في القبائل.

الفقرات (٤٦ - ٤٨) ذكر من تعفف من الشعراء الجاهليين والاسلاميين ومن تعهر منهم.

الفقرات (٤٩ - ٥٤) زيادة القبائل في اشعار شعرائها وتزيد الرواة ووضعهم الاشعار.

الفقرة (٥٥) حديث عن منهج جمع الشعراء في طبقاتهم.

وتجدر الاشارة هنا الى ان المحقق الشيخ محمود محمد شاكر اشار في مقدمته الى ان المخطوطة التي اعتمد عليها قد سقطت منها اوراق ذكر مواضعها من تسلسل اوراق المخطوطة التي هي في الاصل ثلاث عشرة ومائة ورقة (١١٣) بقي منها تسع وستون ورقة (٦٩) ثم اثبت مسرداً بمواضع الاوراق الساقطة مستفيداً من كون اوراق المخطوطة مرقمة في الاصل ومن ملاحظة المسرد وهوامش المحقق على اصل الكتاب اتضح لنا ان مادة المقدمة لم يسقط منها شيء[٢] وهكذا نستطيع أن نتامل هذه المادة كما هي وبون ان نكل بعض ما يلفت النظر من ثغرات الى سقوط جزء منها وان كان ذلك سيبقى رهناً بالمخطوطة التي اعتمد عليها المحقق. اذ ما يدرينا لعل ناسخها اعتمد على اصل ناقص فذلك احتمال وارد وان كنا لا نريد ان نتخذه ذريعة لاستصدار رأي حاسم في طبيعة المادة المودعة في المقدمة. وهكذا سنقيم التامل والاستنباط على ما بين ايدينا من نص الى ان تكشف الايام عما قد يعدل او يضيف.

اما الفقرة الاولى من فقرات المقدمة الخمس والخمسين فهي اسناد سماع الكتاب وقراءته وقد سقط منها الكثير بحيث لم يبق ما يطمان اليه الا رواية ابي خليفة الفضل من الحباب الجمحي عن محمد بن سلام وظاهر من صورة الورقة الاولى من المخطوطة الام ان البلل هوالذي ذهب بجزء كبير من هذه الفقرة[٣].

ويبدو ان الفقرة الثانية لم يسقط منها شيء ولكنها تستدعي النظر، فظاهرها يشير الى عرض مادة الكتاب حيث يقول ابن سلام فيها: « ذكرنا العرب وأشعارها والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها، اذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ولا يستغني عن علمه

www.dorat-ghawas.com

ناظر في امر العرب فبدأنا بالشعر »[٤] .

فاذا أخذنا بنظر الاعتبار ان مادة الكتاب هي في فحول الشعراء كان علينا ان نجد تسويغاً لقوله « شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها » .

وقد عالج الشيخ محمود محمد شاكر هذه العبارة في معرض مناقشته لاراء يوسف هل التي أودعها في مقدمته لطبعته من كتاب الطبقات فذكر ان بروكلمان اصاب كل الاصابة حيث ذكر ان لابن سلام كتاباً عن الشعراء والفرسان ثم دعم ذلك بما ورد في الاغاني من نقول عن ابن سلام بشأن الفرسان من بعض الشعراء كدريد بن الصمة وخفاف بن ندبة .

ثم اشار الشيخ محمود محمد شاكر الى ان ابن النديم ذكر كتاباً باسم « بيوتات العرب » فاقترح ان يكون الكتاب الذي وعد ابن سلام بذكر (اشراف العرب وساداتها) فيه[٥] .

ونحن لا نريد أن نرد آراء المحقق ولكننا نقف عند امرين اولهما أن (المحقق) لم يقدم مسوغاً لذكر كلمة (أيامها) اذ لم يعثر على اشارة الى كتاب بهذا العنوان اوما هو قريب منه ليسوغ العبارة برمتها وثانيهما ان آخر عبارة ابن سلام في هذه الفقرة لا تتفق وبدايتها فهو لم يقل (بدأنا بالشعراء) بل قال (بدأنا بالشعر) فلو أن الامر متجه الى كتب مختلفة عن (الشعراء) و (الفرسان) و (الاشراف) و (الايام) لكان حق العبارة الاخيرة ان تكون كما ذكرناه .

من هنا نذهب الى ان صدر العبارة قد يحتمل هذا الذي ذهب اليه الشيخ محمود محمد شاكر وقد يحتمل ان يكون استطراداً لا يحمل معنى الالتزام بالتاليف في كل ما ذكره من تفاصيل .

وصحيح ان ابن النديم ذكر كتاب (بيوتات العرب) لابن سلام[٦] ولكنه لم يذكر كتاباً ورد في عنوانه كلمة (فرسان) وصحيح ان ابا الفرج ذكر دريد بن الصمة ونقل عن ابن سلام انه « جعله اول الفرسان » وذكر خفاف بن ندبة وقال « جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة ومع ابني عمه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ومالك بن عمار الشمخي »[٧] الا انه لم يذكر صراحة كتاباً ما .

وعلى الرغم من ذلك كله فإن اجتهاد الشيخ محمود محمد شاكر يبقى وجيهاً بل انه ليبقى التفسير الوحيد المقبول في حدود ما بين ايدينا من حقائق الى ان تكشف الايام شيئاً آخر .

وتبدو الفقرة الثالثة بعد ذلك تمهيداً للدخول في موضوع نقدي دقيق يتعلق بأمر تمييز الشعر الصحيح من الشعر الموضوع وبداية الفقرة « وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه » متفقة تماماً مع آخر الفقرة الثانية « فبدأنا بالشعر » من حيث اتساق الكلام ومن هنا لا نستطيع ان نحدد أية ثغرة بين الفقرتين وذلك على الضد من بداية الفقرة الثانية التي وقعت بعد فقرة سند رواية الكتاب وبدأت بقوله « ذكرنا العرب واشعارها ... الخ » فتلك بداية توحي بأن لها ما قبلها مما لا سبيل الى استنباطه .

وكما هو الشأن في اتساق نهاية الفقرة الثانية وبداية الفقرة الثالثة فان ثمة اتساقاً واضحاً بين نهاية الفقرة الثالثة وبداية الفقرة الرابعة بحيث يبدو الكلام متسقاً بينهما تماماً فهو يقول في نهاية الفقرة الثالثة : « وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الاشياء ، فاما ما اتفقوا عليه فليس لأحد ان يخرج عنه » ويقول في بداية الفقرة الرابعة « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم والصناعات »[٨] فالفقرة الرابعة امتداد طبيعي للفقرة الثالثة اذ تولت الفقرة الثالثة الحديث عن الشعر الموضوع الذي لا يميزه الا اهل العلم والرواية الصحيحة وتولت الفقرة الرابعة عن الحس النقدي المؤهل لتمييز الشعر الصحيح دون تحديد صفات محسوسة محددة فيما هو صحيح وما هو منحول من الشعر .

وترد الفقرتان الخامسة والسادسة امتداداً منطقياً للفقرة الرابعة اذ يروي ابن سلام في اولاهما عن خلف بن حيان حواراً له جرى مع خلاد بن يزيد الباهلي قرر فيه ان العلماء بالشعر هم وحدهم القادرون على تمييز الشعر الصحيح من الشعر المصنوع ويروى في ثانيتهما عن خلف الاحمر حواراً له مع محاور مجهول قرر فيه ايضاً ان العلماء وحدهم هم القادرون على تمييز المزيف من الصحيح من الشعر .

وبشكل ما تبدو الفقرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة تمهيداً للفقرة السابعة فحيث قرر ابن سلام في هذه الفقرات حقيقة ان العلماء بالشعر هم وحدهم القادرون على تمييز الشعر بدا كأنه يهيىء لامر ما وهو الامر الذي تناوله في الفقرة السابعة التي تبدو محور الجهد وغايته ، ففي هذه الفقرة بدأ بالهجوم على ما اورده ابن اسحق في السيرة من اشعار وهي اشعار لا نشك في ان الناس تناقلوها ورووها اجلالاً للكتاب الذي وردت فيه مما شكل خطراً على الشعر في عرف ابن سلام ومن هو في طبقته من النقاد فاستحق امر ردها وابطال روايتها هذا الجهد المكثف من ابن سلام .

ويعترف ابن سلام في بداية الفقرة لابن اسحق بعلمه في السير فيقول : « وكان من علماء الناس بالسير قال الزهري لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة وكان اكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك فقبل الناس عنه الاشعار وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر اتينا به فاحمله ولم يكن ذلك له عذراً »[٩] .

وهكذا يقيم ابن سلام في صدر الفقرة حجته الاولى على ابن

www.dorat-ghawas.com

اسحق ثم تتوالى الحجج فالرجل غير متخصص بعلم الشعر وهو يعترف بذلك ويعترف بانه يسمع من رواة الشعر فيثبت ما يسمعه ولكن « لم يكن ذلك له عذراً » فالعلماء بالشعر يوثقون كل الرواة وحين يوثقون من يوثقون منهم لا يأخذون عنهم كل ما يروون روى ابن سلام نفسه باسناده عن يونس بن حبيب قال : قدم حماد البصرة على بلال بن ابي بردة وهو عليها فقال : اما اطرفتني شيئاً فانشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح ابي موسى . قال : ويحك يمدح الحطيئة ابا موسى لا اعلم به وانا اروي شعر الحطيئة !! ولكن دعها تذهب في الناس[١٠] .

اليس من حق ابن سلام بعد هذا ان يشكل في كل ما رواه ابن اسحق نقلاً عن رواته وهو الرجل المعترف بانه (لا علم له بالشعر) ؟

على ان الامر لا يقف عند هذا فابن سلام يمضي في الفقرة نفسها فيقول في حديثه عن ابن اسحق : « فكتب في السير اشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط واشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود فكتب لهم اشعاراً كثيرة وليس بشعر وانما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ افلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ الاف السنين والله تبارك وتعالى يقول : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » اي لا بقية لهم وقال ايضاً « وانه اهلك عاداً الاولى وثمود فما ابقى .... »[١١] .

ويمضي ابن سلام في استقصاء ما ورد في القران الكريم من اشارات الى فناء عاد وثمود وآثارهم ليقرر رفض ما روي لهم من شعر معتمداً على الدليل الخارجي الموثق على انكار اشعار عاد وثمود ثم يمضي بعد ذلك الى دليل داخلي يستقصي تفاصيله في ست فقرات لاحقة هي الفقرات ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ . ففي هذه الفقرات يسوق الدليل تلو الدليل على حداثة تكون اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم وهي اللغة التي روى بها ابن اسحق اشعار من روى لهم شعراً من الامم البائدة اذ كيف يتسنى لمن لم يتكلم لغة ان ينظم شعراً بها ؟

وهكذا تتضمن الفقرة الثامنة قول يونس بن حبيب « اول من تكلم بالعربية ونسي لسان ابيه اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما »[١٢] ثم تنحو الفقرة التاسعة هذا النحو اذ يضمنها ابن سلام باسناده حديثاً شريفاً يقرر الحقيقة نفسها ثم تتضمن الفقرة العاشرة قولاً لابي عمرو بن العلاء يقرر فيه ان العرب كلها ولد اسماعيل الا حمير وبقايا جرهم ثم تشير الفقرة الحادية عشرة الى ان لفظة (العربية) الواردة في الفقرة التاسعة هي اللسان الذي نزل به القران الكريم ، ثم تتضمن الفقرة الثانية عشرة اشارة الى ان انساب العرب تنتهي عند عدنان ثم تقرر الفقرة نفسها ان انتهاء النسب عند عدنان وعدم وصول شعر لاولية العرب القريبين من عدنان دلالة قاطعة على سقوط ما يروى لعاد وثمود من شعر .

واخيراً تدعم الفقرة الثالثة عشرة هذه الادلة كلها حين تروي عن ابي عمرو بن العلاء نصاً ينكر فيه ان تكون لغة حمير واقاصي اليمن هي لغة اهل الحجاز ولا ان تكون عربيتهم كعربيتهم وهم في زمن واحد فكيف بلغة عاد وثمود ؟

وهكذا يتقرر لدينا ان الفقرات الثلاث عشرة الاولى من مقدمة ابن سلام متماسكة يأخذ بعضها برقاب بعض دون ادنى ثغرة تستدعي النظر فهي كلها تنصب على تقديم الادلة الفنية والتاريخية واللغوية على انكار ما رواه ابن اسحاق من شعر قديم بيد ان الفقرات التي تعقب الفقرة الثالثة عشرة تبدو منقطعة بشكل مفاجيء عن المجرى التي رسمته الفقرات الثلاث عشرة فالفقرة الرابعة عشرة تبدأ بقوله : « وكان لاهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية ..

وكان اول من اسس العربية وفتح بابها وانهج سبيلها ووضع قياسها ابو الاسود الدؤلي ... الخ »[١٣] .

وتمضي الفقرات حتى الفقرة الثامنة والعشرين في متابعة اخبار علماء العربية والنحو والغريب ، فالفقرات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة تتناول بعض اخبار يحيى بن يعمر تلميذ ابي الاسود ، والفقرات الثانية عشرة والتاسعة عشرة والعشرون والحادية والعشرون والثانية والعشرون والثالثة والعشرون والرابعة والعشرون والخامسة والعشرون والسادسة والعشرون والسابعة والعشرون تتناول اخبار عبد الله بن اسحق الحضرمي وشيئاً من اخبار عيسى بن عمر والفقرة الثامنة والعشرون تتناول الخليل بن احمد الفراهيدي .

وهكذا تبدو الفقرات في ظاهرها مقطوعة تماماً عن مجرى الحديث السابق المتجه الى عرض ما رواه ابن اسحق على بساط التوثيق الفني والتاريخي اذ ما علاقة علماء العربية وأخبارهم بهذا العرض النقدي الصرف ؟

قد يغري الانقطاع المفاجيء بالظن بان هذه الفقرات قفزت الى مقدمة ابن سلام من كتاب اخر له او لغيره ولكننا نستبعد هذا الظن بدليلين احدهما توثيقي وهو قول ابن سلام في اول الفقرة التاسعة والعشرين التي اعقبت الحديث عن علماء العربية مباشرة : « رجع الى قول الشعراء والى قول العلماء فيه ولكل من ذكرنا قول فيه »[١٤] فهذا دليل قاطع على ان الفقرات السابقة هي من صلب المقدمة فهي ان بدت منقطعة عما قبلها يبدو ما بعدها اشارة حاسمة الى اصالة ورودها في مقدمة الطبقات على وجه اليقين .

اما الدليل الثاني فهودليل استنباطي ، فحديث ابن سلام عن فساد ما اورده ابن اسحق من شعر قاده كما رأينا الى الحديث عن حداثة وجود اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم في

www.dorat-ghawas.com

الفقرات الثامنة وما بعدها حتى الفقرة الثالثة عشرة ولا نستبعد ان يكون حديث ابن سلام عن علماء العربية في الفقرات الرابعة عشرة حتى الثامنة والعشرين منبثقاً من صلب حديثه عن اللغة العربية وحداثة وجودها بدلالة ان العلماء الذين استنبطوا قواعدها واسسوا علومها محدثون ومعاصرون فضلاً عن ان كلاً ممن ذكر من العلماء كان له قول في الشعر اوفي روايته ورواته وذلك ما صرح هو به في صدر الفقرة التاسعة والعشرين كما رأينا حين قال : « لكل من ذكرنا قول فيه » .

ان اوضح مواضع اضطراب مقدمة ابن سلام هي هذه الفقرات التي بدت غريبة شيئاً ما عن حديث الشعر ولغته وروايته ، ولكننا رأينا ان موضعها قد يبدو قلقاً لانقطاع بدايتها عن الحديث الذي تضمنته الفقرة الاخيرة قبلها ومن هنا رأينا من حقنا ان نفترض سقوط فقرة اواكثر قبل الفقرة الرابعة عشرة فلعل العثور على هذا السقط كفيل بان يضع هذه الفقرات موضعها من نسق كلام المقدمة وان كان ذلك لا يزحزح قناعتنا بأن هذه الفقرات هي من صلب المقدمة بدلالة ما قدمنا من حجج .

وحين نتأمل الفقرات اللاحقة لا تواجهنا حالة اضطراب واضحة كهذه الحالة التي طالعتنا في الفقرات الخمس عشرة (الرابعة عشرة الى الثامنة والعشرين) .

فالفقرة التاسعة والعشرون تبتدىء بهذه الاشارة التي ذكرناها والتي تقرر انتماء الفقرات الخمس عشرة الى صلب الكتاب ثم تشير الفقرة الى ان المؤلف سيرجع الى الشعر وقول العلماء فيه ، ولكن قد يبدو قول ابن سلام غريباً شيئاً ما عندما يقول : « فنقلنا ذلك الى خلف ابي حيان محرز ... الخ »[١٠] اذ ما الذي نقله ؟ ان اسم الاشارة (ذلك) في جملته قد يبدو مبهماً ولكننا قد نستهدي باشارة المحقق الى ان ابن سلام يعني انه رجع بعد هذا الاستطراد الى ما بدأه في الفقرة السادسة[١١] وكان ابن سلام في الفقرة السادسة قد تحدث عن تمسك خلف بقيمة رأي العلماء المتخصصين بالشعر ، ومن هنا لا نستبعد ان تكون مفردة (ذلك) عائدة على مسألة اولية تكون اللغة العربية وحداثة علومها وكون ذلك شاهداً على فساد ما رواه ابن اسحق من شعر لاقوام ما كانوا يتكلمون عربية القرآن الكريم ، وعلى الرغم من ذلك كله فإننا سنبقى امام غموض في الربط بين هذه الفقرة وما سبقها وهو غموض لا تمتلك سبيلاً الى جلائه .

أما الفقرة الثلاثون فتبدو دعماً للفقرة التاسعة والعشرين التي مدحت خلف الاحمر صفة (افرس الناس ببيت شعر ففي هذه الفقرة يشير ابن سلام الى علم الاصمعي وابي عبيدة البصريين والمفضل الضبي الكوفي وهو لا شك يعني علمهم بالشعر .

وتبدو الفقرة الحادية والثلاثون منقطعة عما سبقها فهي تبدأ هكذا « ففصلنا الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الاسلام فنزلناهم منازلهم ... الخ »[١٢] واذ لا علاقة بين هذا التفصيل المنهجي لمادة الكتاب وما كان من ذكر العلماء بالشعر في ظاهر الامر ، ولكننا قد نرى للامر وجهاً حين نتذكر انه كان يتحدث عن العلماء بالشعر (خلف الاحمر ، والاصمعي ، وابي عبيدة ، والمفضل الضبي) وكأنه اشار الى جيل اساتذته من العلماء ، اما هو فانه يفصل الشعراء هذا التفصيل ينقل آراءهم (وربما آراءه هو ايضاً) في هؤلاء الشعراء .

اما سائر الفقرة فحديث عن التقسيم الطبقي الذي اتخذه والذي اخذ فيه احياناً بآراءهم النقاد في التقديم والتأخير .

وتتحدث الفقرتان الثانية والثلاثون والثالثة والثلاثون عن قيمة الشعر عند عرب الجاهلية وانحسار اهتمام العرب به وبروايته بعد الاسلام وكان ابن سلام يعتذر في هاتين الفقرتين عن قلة ما كان بين يديه من شعر يعينه على تحديد مواقع الشعراء وذلك ما ايدته الفقرة الثالثة والثلاثون التي تضمنت نصاً ليونس بن حبيب اشار فيه الى قلة ما انتهى الى العلماء من اشعار العرب .

وتتابع الفقرة الرابعة والثلاثون مسألة قلة ما بقي من اشعار شعراء بأعيانهم وكان ابن سلام يحاول ان يعود بذلك الى مواجهة ابن اسحق بحقيقة قلة ما وصل من شعر شعراء الجاهلية القريبة من الاسلام فكيف باشعار عاد وثمود وذلك ما تفسره الفقرة الخامسة والثلاثون التي قرر فيها ابن سلام ان اوائل العرب لم يكن لهم الا الابيات يقولها الرجل في حاجته « وانما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على اسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع »[١٣] .

ولكي يدعم ابن سلام حقيقة حداثة نشأة الشعر العربي كان له ان يتابع اوائل الشعراء الذين نقل الرواة ابياتاً لهم وهكذا كان له احاديث عن العنبر بن عمرو بن تميم وسعد ومالك بن زيد مناة ودويد بن زيد بن نهد واعصر بن سعد والمستوعر بن ربيعة وزهير بن جناب وجذيمة الابرش واستغرق حديثه عن هؤلاء وروايته ابياتهم الفقرات الثماني من الفقرة السادسة والثلاثين الى الفقرة الثالثة والاربعين اما الفقرة الرابعة والاربعون فقد افردها لتأكيد حداثة وجود القصيدة العربية التي عزاها الى مهلهل بن ربيعة ثم جره الحديث عن مهلهل إلى الحديث عن تحول الشعر في قبائل العرب فهو إذ يعزو الأولية إلى ربيعة ليؤكد أولية شعر مهلهل والمرقشين وطرفة وغيرهم يشير إلى تحول الشعر في قيس ويذكر من شعرائهم زهير بن أبي سلمى وكعب بن زهير ولبيد بن ربيعة وغيرهم ثم إلى تحوله إلى تميم .

وليس لنا أن نفسر خروج حديث ابن سلام إلى معالجة ما

www.dorat-ghawas.com

يتعلق باولية الشعر ألا في إطار رده ما رواه ابن اسحق من أشعار فتقرير أولية الشعر وربطها بتاريخ قريب من ظهور الاسلام توجه بسقط بطبيعته ماروي من أشعار ترجع الى مرحلة تسبق هذا التاريخ بشكل لا يقبل التاويل .

أما الفقرات السادسة والاربعون والسابعة والاربعون والثامنة والاربعون التي تحدث فيها ابن سلام عن الشعراء الذين كانوا يتالهون ويتعففون في أشعارهم أو كانوا يتمهرون فيها فإنها فقرات تبدو بعيدة نسبياً عن مسالة انكار ماروا ابن اسحق ولكنها تبدو لصيقة بالحديث عن الشعر الجاهلي الذي كان يتحدث عن تاريخ نشاته واسماء شعرائه ورواية أبياتهم أو قصائدهم فضلًا عن باعث خفي تظن أن ابن سلام كان يطمح من خلاله إلى القول بان توجهات الشعر الجاهلي هي هذه التوجهات التي تبدو بعيدة عماروا ابن اسحق من أشعار .

أما الفقرة التاسعة والاربعون فان ابن سلام يعود فيها إلى الحديث الصريح عن قضية وضع الشعر فيشير إلى أن بعض العشائر استقلوا شعر شعرائهم لما راجعوا الشعر بعد الاسلام « فقالوا على ألسنة شعرائهم » فيقدم بذلك تعليلًا مبكراً لمسالة وضع الشعر ثم يردف ذلك بتعليل آخر في الفقرة الخمسين حين يذكر أن ابن داوود بن متمم بن نويرة وضع شعراً على لسان متمم عندما نفذ مايرويه من شعره لرغبته في اتحاف ابن سلام بما كان يريده من شعر بعد أن قام له بحاجته عندما ورد البصرة ليحتار فكانما أوما أبن سلام بذلك الى الباعث المادي على وضع الشعر وان كان الامر لا يخلو من إيماء إلى رغبة الابناء في زيادة مايروى لابائهم من أشعار .

ونستطيع أن نستنبط رؤية أبن سلام لباعث آخر من خلال الفقرات الحادية والخمسين والثانية والخمسين والثالثة والخمسين والرابعة والخمسين مجتمعة وهي فقرات تناول فيها حماد الرواية فقال رأيه في نحله للشعر في فقرة ثم نقل عن يونس ابن حبيب رواية تقرر وضع حماد للشعر على لسان الحطيئة في الفقرة التالية ثم نقل عن سعيد بن وهب الثقفي رواية تقرر خلط حماد في نسبة قصيدة الى طرفة وهي لاعشى همدان في الفقرة الثالثة ثم ختم ذلك كله بحكم ليونس بن حبيب على فساد رواية حماد في الفقرة الاخيرة .

وواضح أن ابن سلام حين أتخذ حماداً نموذجاً للرواة الوضاعين كان يومىء إلى باعث ثالث يتمثل في تزيد الرواة لاسباب علمية أو غير علمية .

وهكذا يفرغ ابن سلام في الفقرة الاخيرة من مقدمته للاشارة الى أن ما سيرويه من أشعار سيرويه « بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم »[١١] وهنا يبدو لنا أننا بإزاء مفتاح رئيس من مفاتيح مقدمة ابن سلام فهو يريد ان يقدم كتاباً يوثق فيه أشعار العرب ولكن الناس كانوا ياخذون عن رواة يفسدون هذه الاشعار بما يزيدونه فيها عن قلة خبرة (ابن اسحق) أو عن رغبة في التزيد لها بواعثها (القبائل ، ابن داوود بن متمم ، حماد) أفلا يحق له قبل أن يروي هو ما وثقه من شعر أن يناقش ماقد يسأل عنه مما درج على السنة الناس من شعر موضوع ومدحول ؟

وهكذا يتضح لنا الخيط الخفي الذي يربط بين هذه الفقرات التي تبدو احياناً متباعدة او منقطعة بعضها عن بعض وتلك حقيقة رأينا أن إدراكها لا يتاتى الا بتدقيق النظر وربط ماتبديه الاسطر حيناً وتخفيه حيناً وإن كانت بعض مواضع السقط التي أشرنا اليه ستبقى عقبة أمام تقديم تفسير أكثر دقة لمقدمة هذا السفر التراثي الجليل .

الهوامش والمصادر

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر مصر ١٩٧٤م ، ٧٠ .

(٢) تنظر مقدمة المحقق ، ١٢ .

(٣) تنظر صورة الورقة في أخر مقدمة المحقق ، ٧٤ ، وتقارن بالصفحة ٣ من الكتاب .

(٤) طبقات فحول الشعراء ، ٣ .

(٥) مقدمة المحقق ، ٦ .

(٦) الفهرست ، تحقيق رضا تجدد طهران ١٩٧١م ، ١٢٦ .

(٧) الاغاني لابي فرج الاصفهاني ، طبعة دار الكتب ، ١٠ / ٣ و ١٨ / ٧٤ .

(٨) طبقات فحول الشعراء ٤ / ٥ .

(٩) م . ن ، ٨ .

(١٠) م . ن . ٤٨ وينظر الاغاني ٢ / ١٧٥ .

(١١) طبقات فحول الشعراء ، ٨ .

(١٢) م . ن ، ٩ .

(١٣) م . ن ، ١٢ .

(١٤) م . ن ، ٢٣ .

(١٥) م . ن ، ٢٣ .

(١٦) هـ ٢ص ٢٣ .

(١٧) م ، ن ٢٣ - ٢٤ .

(١٨) م . ن ٢٦ .

(١٩) م . ن ٤٩ - ٥٠ .

www.dorat-ghawas.com